المتعطشون للدماء.. دعاة الحضارة

مؤمن سحنون - تبيان 2023

أثناء قيام فريق العمل بإنشاء مسبح داخل حديقة البيت الأبيض عام 1975، تفاجأت حفريات علماء الآثار برمم بشرية مكدسة، قالوا إنها تعود إلى مدينة نكن شتنكه، ولشعب كونوي من السكان الهنود الأصليين الذين بنى جورج واشنطن عاصمته الجديدة فوق مشاهد احتضارهم. لفَّ بعدها الصمت تفاصيل الحادثة، وأوقفت على الفور عمليات الحفر، ثم فُرشت الحديقة المسماة اليوم "حديقة الورد" مجددًا بالأعشاب لتغطي ذلك العالم أسفلها، عالمًا من قصص مرور حضارة الرجل الأبيض على ربوع العالم الجديد، أو ما يُعرف اليوم بـ "أمريكا"، أو ما سماه المحتلون الأنكليز الزنابير في بداية استيطانهم لتلك الأرض "بإسرائيل الله الجديدة".

يبدو أن قصة الحضارة الغربية التي حملها الأنكليز الزنابير والإسبان في بداية احتلالهم للعالم الجديد، وطريقة تعاملهم مع سكانه الأصليين من الهنود، تحمل في طياتها ملامح ثابتة وصفات مميزة لطبيعة هذه الحضارة وطريقة ترويجها ونشرها، مع اختلاف من هو "الآخر" الذي سيقع تمدينه وتعميده على أبواب الحداثة العالمية في كل مرة. ومن هذا التاريخ يمكن استشراف أحداث الحاضر التي لا تزال فيها الرجل الأبيض نبيُّ الحضارة الغربية يلهو بأسلحتها أثناء تجوله لإلحاق بقية بلدان العالم بركب التقدم.

المحاور:

- الهنود الحمر على ضفاف العصر الجديد.
- الأفارقة السود يلحقون بركب الحضارة الغربية.
- الأصول الفكرية وبواعث السلوك الاحتلالي المعاصر.
- حين أصبح الآخر الواجب تعميده حضاريًا هو المسلم.

الهنود الحمر على ضفاف العصر الجديد.

كانت القارة الأمريكية تنبض بحياة مئات الأمم الهندية يتوزعون على أرضهم الخصبة الشاسعة، قبل أن يطل عليهم المبعوث الصليبي كريستوف كولومبس حاملًا لواء الرسالة الجديدة، مبشرًا بنبوة احتلال أرض غيره واستبدال شعب بشعب، وثقافة بثقافة، وتاريخ بتاريخ. فقد عبَّر كولومبس سنة 1492 عن رغبته في أن ينكبَّ الإسبان لثلاث سنوات كاملة على حصاد ذهب العالم الجديد ليعدَّ به عرش إسبانيا ما يستطيع من قوة وعتاد لازمين لتحرير أورشليم، أي لاحتلال القدس.

ومنذ أن وطئت أقدام المهاجرين الجدد هذه الأرض حتى اشتغلت آلة "الحضارة" في إبادة السكان الأصليين من الهنود ونهب ثرواتهم واستعبادهم وإذلالهم. ولم يتوقف الأمر هنا، بل وكعادتها عملت "حضارة الرجل الأبيض" على مسخ كيان الشخصية الهندية وإلصاق كل المستقذرات والصفات الشنيعة بها، فقد تشكَّل وعينا – ولأجيال – على تلك الصورة النمطية للهندي البدائي العاري من اللباس، قليل الاستحمام، بريشته على رأسه، ورقصاته حول الطعام والنار، وأصواته الغريبة التي يطلقها أثناء الرقص.

هذه الصورة هي ما أراد الرجل الأبيض إخراجها عن السكان الأصليين لتبرير ما سيتلو ذلك من ممارسات قذرة في سياق "تمدين" هذه الشعوب ونشر "الحضارة" في تلك الأرض، حتى أصبحت هذه الصورة هي ما يُقدَّم كمادة تدريسية لأبناء الهنود أنفسهم، بعد أن يقع خطفهم من آبائهم وأمهاتهم بالقانون الأمريكي قبل سن الرابعة، ليدخلوا بعدها في المراكز التعليمية والتنصيرية

الأمريكية الخاصة، والتي يعمل فيها خريجو السجون الأمريكية وأصحاب السوابق الإجرامية.

لينتهي الأمر بأطفال الهنود في هذه المراكز إلى استباحة أجسادهم، واغتصاب أحلامهم وأفكارهم، وافتراس إنسانيتهم، ثم بعد هذا تعليمهم تقديس الرجل الأبيض الذي جاء من وراء البحار لكي يطهِّرهم من أدناسهم وتخلفهم.

لقد تم محو حضارة هندية بكامل خصائصها وتدمير ذاكرتها وتاريخها، وإبدال القيم الأمريكية لشعب الله المختار مكانها. لقد رُسمت قصة اكتشاف أمريكا في عقولنا ونُسجت في وعينا على كيفيةٍ أصبح التساؤل معها عن مصير سكانها الأصليين غير وارد أو متبادر للذهن. ومعرفة حقيقة مثل حقيقة إبادة الإنكليز الأنكلوساكسون – أو الذين سماهم الكاتب منير العكش بـ "الزنابير" – لـ 400 أمة وشعب هندي أثناء اجتياحهم للأرض الأمريكية في اتجاه الغرب أمرًا غريبًا.

لقد أُقيم فوق ملايين من تلك الأجساد البريئة ما يسمى اليوم بالولايات المتحدة الأمريكية، التي طوَّرت أسلوبها في نشر حضارتها في بقية العالم، مع بقاء نفس الطابع في استعمال حيل الماضي لضحايا جدد لفكرة إسرائيل الأمريكية.

الأفارقة السود يُلحقون بركب الحضارة الغربية.

بعد إبادة أغلب السكان الأصليين من الهنود في أمريكا، كان على الغزاة الجدد من الإنكليز والإسبان وسكان أوروبا استجلاب يد عاملة تحصد لهم ثروات أرض الهنود البكر، ما أنتج فكرة جلب العبيد من إفريقيا السوداء. فتسابقت سفن

الحضارة الغربية مدججة بما وصلت إليه قدرتهم العسكرية، وتقاطر جنودهم على سواحل القارة السمراء، وبدأ التسابق في اصطياد البشر السود، ثم تقييدهم وشحنهم في سفن إلى العالم الجديد.

وقد يصطاد الغزاة واحدًا من كل عشرة أفراد، بينما تكون بقية التسعة قد قُتلوا ببنادق الصيد في عمليات المطاردة والإغارة التي عاشتها إفريقيا في سبيل بناء حضارة الرجل الأبيض الغربي وشعب الله المختار.

لم يكن المحتلون يعتبرون السود بشرًا أو كائنات لها أدنى كرامة أو قيمة. فهم كائنات دونية من حق الغربي أن يبيعها ويشتريها ويستعبدها ويتخلص منها أو يأكل من لحومها إذا طاب ذلك للرجل الأبيض. يقول ويليام هاركورت، وزير داخلية بريطانيا بين سنتي 1880–1885:
«القضاة الإنكليز في القريب العاجل سيقرون أكل لحم البشر ويجعلونه بديلًا طبيعيًا لدفن الموتى».

ففي رحلات شحن العبيد نحو العالم الجديد، كانت السفن تتخلص من أعداد كبيرة في طريقها، أولئك الذين كانت السلاسل تكبِّلهم داخل أقبية السفن، فيموت منهم الضعاف جراء ظروف التخزين والتهوية والأمراض، ويصل البقية ليتحولوا إلى وقود لبناء الصروح العائمة فوق برك من دماء الهنود.

الأصول الفكرية وبواعث السلوك الاحتلالي المعاصر.
تحدثنا عن نزر يسير من اجتياح الإنكليز والإسبان لأرض الهنود وتأسيسهم لما سُمِّي بالولايات المتحدة الأمريكية فوق ركام الملايين من الهنود، ثم عن حركة

اصطياد البشر السود التي مارسها الرجل الأبيض والأوروبي في بلدان إفريقيا. إلا أن هذه القصة ليست حكرًا على هاتين الحالتين، بل منذ تأسيس أمريكا والإنكليز الزنابير يقودون حملة "تمدين" عالمية وينشرون "الحضارة" تحت أسماء مختلفة في كل مرحلة تاريخية مع استعمال أسلوب متشابه مع الضحية.

لقد رأى الإنكليز في الأرض الجديدة تجليًا لأساطير اليهود حول الكنعانيين، فألبسوا جرائمهم لباس مهمة في قضية مقدسة، وصنعوا خلفية دينية تبرر إبادة الهنود. وأسقطوا أساطير إسرائيل التاريخية على الأرض الأمريكية، وأسقطوا على الهنود صفة الكنعانيين، فأصبح لهم الحق – في تصورهم – في التضحية بالهنود وإراقة دمائهم واحتلال أرضهم ومحو وجودهم التاريخي.
وقد ورد في محاضر جلسات الكونغرس 33، الجلسة 23:
«يجب مساعدة الحضارة على إبادة الهنود كما أمر الله يشوع أن يبيد الكنعانيين...».

حين أصبح الآخر الواجب تعميده حضاريًا هو المسلم.
كان لتراجع المسلمين في الأندلس وتقدم الصليبيين الإسبان دور كبير في إطلاق يد الاجتياح الغربي على القارة الأمريكية، كما كان لتراجع المسلمين حضاريًا الأثر البالغ في تمكن الأساطيل الأوروبية من افتراس السواحل الإفريقية.

لكن حضارة الرجل الأبيض واصلت طريقها بنفسية الطغيان حتى أصبحت الأمة الإسلامية هي "الآخر" الذي على الرجل الأبيض كنعنته. فصار الهدف نشر

الديمقراطية و"تمدين" المسلم عبر لبرلته ورأسملته وتعميده على أبواب الحداثة، كما خُطف أطفال الهنود من قبل.

اليوم تُبث القيم الغربية عبر التعليم والإعلام، في عملية جراحة دماغية يومية تُحقن فيها عقول المسلمين باحترام الآخر وقبول الآخر، بينما الآخر ينهب الثروات ويدنس المقدسات ويستعبد الشعوب عبر حكومات عميلة.

إن مقاومة هذه الهجمة الغربية المعاصرة ليست دفاعًا عن المسلمين فقط، بل عن كل المستضعفين في العالم، في وجه حضارة مصاصة للدماء تسعى لمحو الذاكرة واستبدال التاريخ وإفراغ الإنسان من روحه قبل أن تنقض عليه.

المصادر:

-منير العكش – أميركا والإبادات الثقافية: لعنة كنعان الإنكليزية.
-منير العكش – تلمود العم سام.